مَبَادِيءُ التَّعَايُشِ السِّلْمِيِّ لِلْفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ

(رؤية قرآنية)

فضيلة الشيخ حسن الصفار

الهفوف - المملكة العربية السعودية

فحوى البحث

لايغيب عن بال كل متتبع لشؤون المجتمع الاسلامي ان هذا المجتمع يعيش أزمة حادة في علاقة بعضهم بالبعض الآخر والذي قد يصل الى حد عدم قبوله مع ادعائه بالتمسك بأهداب الدين وتطبيق تعاليم القرآن الكريم.

وقد عرض فضيلة الشيخ الباحث لهذه الظاهرة وانتزاع حلولها من نصوص القرآن الكريم الذي يؤمن به كل من يدعي الايمان برسالة النبي محمد ﷺ والذي يدعو الى الشراكة الانسانية والاعتراف بالآخر وسيادة العقل، في بحث موجز اعتمد القرآن الكريم مصدراً وحيداً له.

تعيش الامة الاسلامية في هذا العصر أزمة حادة في العلاقة مع الآخر المختلف دينياً، بسبب ترعرع تيار في وسط الامة يتبنى الصدام مع الآخر، ويمارس أشد ألوان العنف والارهاب تجاهه، من الخطف والقتل والسبي، وتدمير المنشآت، واستهداف التجمعات المدنية بالتفجير والقتل والارعاب، وكل ذلك يتم باسم الاسلام، وتحت رايات ترفع شعاره.

وقد طالت هذه الهجمات مختلف بلدان العالم، وسط ضحاياها آلاف المدنيين الابرياء من الرجال والنساء والاطفال.

صحيح أن المسلمين قد عانوا في الماضي ويلات الاستعمار الاجنبي، وعنف الحملات الصليبية، ولازالوا يواجهون سياسات الهيمنة الاجنبية على بلدانهم، والدعم المفتوح لعدوهم الرئيس (اسرائيل) التي تحتل ارض فلسطين، وتمعن في اذلال الشعب الفلسطيني، وتمارس الغطرسة في المنطقة العربية والاسلامية بدعم غربي.

لكن ذلك لا يبرر أبداً ممارسة الارهاب واستهداف الابرياء، وافتعال معـــــركة دينية وصدام حضاري، فالسياسات الدولية لا تنطلق من منطلق ديني، ولاترفع شعارات ايديولوجية، وانما تدفعها وتحركها المصالح والمطامع.

كما تحتضن المجتمعات الاخرى جاليات اسلامية كبيرة، اصبحت جزءاً من تلك الاوطان، وتتمتع بكامل حقوق المواطنة، وتتاح لها فرص الحياة الكريمة، وممارسة شعائرها الدينية، وقد تكون اوضاع تلك الجاليات افضل من اوضاع بعض المجتمعات الاسلامية في اوطانها الاصلية.

لذلك اصبحت البلدان الغربية مأوى لكثير من المشردين واللاجئين من البلدان الاسلامية، ومهوىً للباحثين عن حياة كريمة لائقة، ومن أجل الوصول الى شواطئ تلك البلدان يستهينون بالمخاطر والمصاعب، ويركبون امواج البحر ويتحملون اهواله، حتى قضى الالوف منهم غرقاً وهم في طريق الهجرة الى الضفة الاخرى.

وكان لا بد وان تؤدي هذه الممارسات الارهابية الى تشويه سمعة الاسلام في اوساط المجتمعات الغربية، وان يصبح وجود المسلمين مصدر قلق وخوف لتلك الشعوب. مما اعطى الفرصة لنمو توجهات يمينية متطرفة تتبنى التضييق على المسلمين وتشويه صورة الاسلام واهانة مقدساته، فهناك من اعلن القيام بحرق القرآن وهناك من رسم كاريكاتورات السخرية والاستهزاء بالنبي محمدﷺ، وهناك من انتج افلاماً للتخويف من الاسلام والمسلمين، وهناك من طالب بطرد المسلمين او منع دخولهم الى امريكا واوربا، ضمن الموجة التي يطلق عليها (اسلام فوبيا).

وهكذا تأزمت العلاقة بين الامة وهذه المجتمعات، ولم يقتصر الامر على المجتمعات الغربية المسيحية، بل امتد الى بلدان اسيا وافريقيا، من المجتمعات الهندوسية والبوذية وغيرها.

في الجانب الاخر فان العلاقات داخل الامة وبين مكوناتها الدينية ليست اقل تأزماً من العلاقة مع الخارج، بل هي اشد واخطر، حيث انفجر الصراع الطائفي بين السنة والشيعة في اكثر من قطر اسلامي، وادى ذلك الى حروب ومعارك، وتهجير واغتيالات وتفجيرات انتحارية ارهابية، استهدفت المساجد والحسينيات والاماكن المقدسة والتجمعات الشعبية المختلفة. وتلبدت كل سماء العالم الاسلامي بغيوم هذا الصراع المقيت.

ان الخطير في تأزم العلاقة مع الاخر الخارجي والداخلي، اتكاء هذه الحالة على تنظير ديني، حيث يروّج التيار المتطرّف لثقافة تقوم على المفاصلة والصدام مع الاخر، المختلف في الدين او المذهب او حتى في بعض الاراء والافكار ضمن المذهب الواحد، كما رأينا في اقتتال الفصائل (الجهادية) في افغانستان والصومال وسورية.

هذه الثقافة المتطرفة التي تشرعن الارهاب والعنف تدعي الانتساب للدين، وتستدل وتستشهد بنصوص قرآنية، واحاديث نبوية، وافعال صحابة، واقوال فقهاء.

وبعض ما يستشهد به هؤلاء المتطرفون نصوص مختلفة، قد تكون من وضع وعاظ السلاطين، والرواة المرتزقة للحكام المستبدين، من اجل تبرير بطشهم وديكتاتوريتهم.

وبعض النصوص صحيحة لكن يساء فهمها وتفسيرها، بما يخدم توجهات التشدد والتطرف.

وقد تكون بعض النصوص موجهة لظروف وزمن محدد، لكنهم يتعاملون معها على اساس الاطلاق الزماني والمكاني، دون اخذ بيئة وملابسات صدور النص بعين الاعتبار.

من هنا تبدو الحاجة ماسة في ظل هذا الوضع الحساس الذي تعيشه الامة، على صعيد تأزم العلاقات الخارجية والداخلية الى ترسيم المبادئ ووضع القواعد التي تنظم العلاقة مع الاخر، والتعايش بين ابناء الشر وان اختلفت اعراقهم واديانهم ومذاهبهم.

فلا بد من الرجوع الى القرآن الكريم، وهو المصدر الاساس للعقيدة والتشريع الاسلامي، لمعرفة الرؤية الدينية، والمنهج التشريعي للتعامل مع الاخر الديني.

وتعنى هذه الورقة المتواضعة باستكشاف الرؤية القرآنية بلغة بينة واضحة، عسى ان تسهم في تحصين وعي جمهور الامة من التأثر بثقافة التطرف والتشدد.

١. الشراكة الانسانية:

ما يجب ان يستحضره المؤمن هو ان الاخر مهما كان دينه ومذهبه وعقيدته فهو شريك له في هذه الحياة، ولابد من التعامل معه على هذا الاساس، ذلك ان الله تعالى هو خالق الكون والحياة، وهو مالك كل شيء من ثرواتها وخيراتها، وقد اعطى حق الحياة والاستمتاع بخيراتها لجميع ابناء البشر، من آمن به ومن كفر، فجميع البشر شركاء على نحو التساوي في فرص الاستفادة من امكانات الوجود.

ولا يحق لمن يدعي الايمان بالله تعالى ان يصادر حق احد من عباده ولو كان كافراً، في التمتع بشيء من خيرات الحياة، لانه بذلك يكون قد خالف ارادة

الله، ومارس الظلم والجور.

كان يمكن لله تعالى ان لا يخلق من لا يؤمن به، او ان يسلب نعمة الوجود من الكافرين والعصاة، او يحرمهم من بعض قدرات الحياة وامتيازاتها، ولكن حكمته تعالى شاءت ان تتسع الحياة للجميع، وان يغمر فضله ونعمه الجميع.

ولنتأمل نماذج من الايات الكريمة التي تؤكد هذه الحقيقة:

يقول تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨ - ٢٩].

والخطاب في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ موجه الى البشر مؤمنهم وكافرهم، بدليل سياق الاية مع التي قبلها والتي تخاطب الكافرين.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [سورة لقمان: ٢٠].

وتشير جملة من الايات الكريمة الى ان الله تعالى قد منح الانسان فرصة الجمع بين متع الدنيا وثواب الاخرة، عن طريق الايمان به والالتزام بدينه، لكن من يريد حرمان نفسه من ثواب الاخرة، بالكفر بخالقه، والصد عن دينه، فان فرصته في التمتع بلمذات الدنيا محفوظة له، يقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [سورة هود: ١٥].

ويقول تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [سورة الاسراء: ٢٠].

فنعم الله تغمر هؤلاء المؤمنين وهؤلاء الكافرين، ولايحظر على الكافرين شيء من عطاء الله في هذه الحياة.

هذه الايات الكريمة وامثالها كثير في القرآن الكريم، تؤكد على تكافؤ الفرص

بين ابناء البشر في هذه الحياة، وانه لا يحق لاحد ان يصادر حق احد في الاستمتاع بخيرات الدنيا مهما كان دينه او عقيدته، مؤمناً كان او كافراً، لان ذلك منحة وعطاء الهي للخلق.

ويمكننا ان نستشهد بقاعدة في الفقه الاسلامي تنبثق من هذه الرؤية وهي قاعدة الاحياء، فمن بادر لارض مهملة غسر مملوكة فاحياها بجهده ونشاطه، ببناء او زرع او ما اشبه من طرق الاستفادة، فانه يتملكها.

يقول الفقهاء: (يجوز لكل احد احياء الاموات بالاصل، والظاهر انه يملك به من دون فرق بين كون المحيي مسلماً او كافراً)[1].

ولايشترط عند الجمهور (الحنفية والمالكية والحنابلة) كون المحيي مسلماً. فلا فرق بين المسلم والذمي في الاحياء، لعموم قول النبيﷺ: ((من احيا ارضاً ميتة فهي له)) ولان الاحياء احد اسباب التمليك فاشترك فيه المسلم والذمي كسائر اسباب الملكية[2].

وهناك قاعدة: (من حاز ملك) فمن استولى على شيء غير مملوك لاحد من خيرات الكون، يصبح ملكاً له، مسلماً كان او غير مسلم.

٢. الاعتراف والاقرار بوجود الآخر:

كما انك موجود فكذلك الاخر موجود، حيث لا يستطيع احد الغاء احد، وكما لا يرضيك ان يتنكر الاخر لوجودك، فانه لا يقبل ان تنكر وجوده.

وهنا يجب ان نفرق بين مشروعية الوجود، وحقانية الوجود، فكل صاحب دين او مذهب يرى الحقانية في عقيدته، وان المعتقدات الاخرى باطلة.

لكنه لا يملك حق الغاء المعتقدات الاخرى، فلها وجودها واتباعها، ومن حقهم ان يعبروا عن ذاتهم الدينية والمذهبية.

وقد حاول بعض من اتباع مختلف

(١) منهاج الصالحين، السيد محمد الروحاني، مسألة ٦٧٣، الطبعة الثانية، بيروت –دار الزهراء.

(٢) الفقه الاسلامي وادلته، د. وهبة الزحيلي، ج٥، ص٥٥٩، الطبعة الثانية، دار الفكر–دمشق.

الديانات والمذاهب ان يصادروا الوجودات الدينية والمذهبية المخالفة لهم، لكن هذه المحاولات غالباً ما تبوء بالفشل، ولا تنتج الا الحروب القذرة، والعنف المتبادل باسم الدين.

ان الدين والمعتقد قد يصبح هوية وجودية للمجتمع، لايتخلى عنها تحت ضغط التهديد، ولا الخضوع لمنطق الادلة والبراهين.

هذا ما تشير اليه الاية الكريمة: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٥].

ويروض القرآن الكريم نفوس المؤمنين ليتعايشوا مع واقع التنوع الديني فهو قدر البشرية الى يوم القيامة، فلا يتوهمن احد امكانية الفصل والحسم بين الديانات في هذه الحياة الدنيا، اذ انها مهمة مؤجلة الى يوم القيامة. وتتم بين يدي الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة السجدة: ٢٥]، ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

وتكريساً لهذا المبدأ يعترف القرآن بوجود اتباع الديانات الاخرى الى جانب وجود اتباعه المؤمنين، في اطار هوياتهم الدينية يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة الحج: ١٧].

٣. الاعتراف والاقرار بوجود الآخر:

غالباً ما يندفع الانسان للتبشير برأيه وعقيدته بدافع وجداني، لانه يؤمن بصحة رأيه، ويرغب ان يشاركه الاخرون الايمان به، ويكسب المزيد من الثقة والاطمئنان برأيه حين تتسع رقعه المقتنعين به.

وقد يكون الدافع للتبشير بالرأي والمعتقد دافعاً مصلحياً، حين يكون وسيلة لاستتباع الاخرين، واخذ موقع التأثير عليهم، والقيادة لهم، بما يحقق اطماع الهيمنة والسيطرة.

وتشجع معظم الديانات اتباعها

على التبشير بها ومعتقداتها، انطلاقاً من حقانيتها، ولان ذلك يجلب رضا الرب سبحانه.

وقد يؤدي التبشير بالرأي والمعتقد الى حالة من الصدام والصراع بين اتباع الديانات والمذاهب والافكار، وخاصة حين يأخذ منحى الفرض والاكراه.

وهنا يؤكد القرآن الكريم على احترام حرية حرية الرأي والمعتقد، ويرفض اي محاولة لاكراه الاخرين على تبني معتقد او قبول رأي. يقول تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] ويقول تعالى ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

ان الانبياء الذين بعثهم الله برسالاته وشرائعه، تنحصر مهمتهم في تبين الدين وتبليغه، ولا يحق لهم ابداً فرض الدين او اجبار الناس على اعتناقه. يقول تعالى: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ [سورة الغاشية: ٢١-٢٢] ويقول تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [سورة النساء: ٨٠].

ويقول تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [سورة ال عمران: ٢٠].

لقد شاءت ارادة الله وحكمته ان يكون الانسان في هذه الدنيا حراً في قناعاته وافكاره، حتى في مبدأ الايمان بالله تعالى، حيث لم يفرض الله على خلقه الايمان به اجباراً واكراهاً، ولم يمنح لاحد حق هذه الوصاية والممارسة.

يقول تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

هكذا يؤكد القرآن الكريم احترام حرية الرأي ولايسمح للمؤمنين به استخدام العنف والقوة في الدعوة اليه، حتى اللفظ والكلام غير مقبول عند الله كاسلوب للدعوة الى دينه، يقول تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

[سورة النحل: ١٢٥] ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

٤. سيادة العدل وحفظ الحقوق:

ان التمايز الديني والمذهبي لا يعطي لاحد الحق في الاستعلاء على الاخر، ومصادرة شيء من حقوقه الانسانية، او النيل من كرامته. فاعتقادك باحقية دينك وبطلان دين الاخر، لايمنحك مبرراً للتسلط عليه او امتهان كرامته، ذلك ان الانسان بما هو انسان وقبل اي عنوان اخر ديني او عرقي او طبقي، له قيمته وكرامته التي يجب ان تحفظ وتحترم في هذه الحياة، اما في الاخرة فحسابه عند ربه.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [سورة الغاشية: ٢٥-٢٦].

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [سورة المؤمنون: ١١٧].

ولتأكيد هذه القيمة الانسانية تحدثت ايات القرآن الكريم عن مكانة الانسان وخصائصه الفريدة، فهو الذي جعله الله خليفته في الارض، وجعل تحت تصرفه كل موجودات الكون والحياة، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان: ٢٠] وقد خلقه في احسن تقويم، واسجد له ملائكته، ومنحه الكرامة والقيمة العالية، يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الاسراء: ٧٠].

كل هذه المكانة والامتيازات للانسان بما هو انسان، دون النظر الى عرقه او دينه او عقيدته، كما هو مفاد الاطلاق في الايات الكريمة، وصحة العقيدة والدين، والالتزام القيمي يضيف الى صاحبه في المكانة والاعتبار عند الله، وفي ثواب الاخرة، اما في الحياة الدنيا فابناء البشر يتساوون في تلك الميزات الاساس.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره للاية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾: (يظهر ان المراد بالاية بيان حال لعامة البشر مع الغض عما

يختص به بعضهم من الكرامة الخاصة الالهية، والقرب والفضيلة الروحية المحضة، فالكلام يعم المشركين والكفار والفساق)[٣].

وقال الالوسي البغدادي: ((ولقد كرمنا بني ادم)) (اي جعلناهم قاطبة برهم وفاجرهم ذوي كرم، اي شرف ومحاسن لايحيط بها نطاق الحصر)[٤].

ان القرآن الكريم يقرر مبدأ كرامة الانسان لانسانيته اولاً وقبل كل شيء، فمن اي عرق انحدر، والى اي دين وعقيدة انتمى، فهو انسان له كرامته الذاتية، ويجب ان يتمتع بحقوقه الانسانية الكاملة.

وانطلاقاً من هذا المبدأ يقرر القرآن الكريم سيادة شرعه: العدل واحترام حقوق الانسان، كمنهج ونظام للعلاقة بين بني البشر في هذه الحياة: يقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [سورة النحل: ٩٠] ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [سورة النساء: ٥٨].

والعدل شرعة عامة لبني البشر، دون النظر لاعراقهم واديانهم، هكذا يأمر الله رسوله ﷺ ان يخاطب غير المؤمنين به، يقول تعالى: ﴿ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ [سورة الشورى: ١٥].

ان وجود عداوة او خصومة مع الطرف الاخر لا يبرر الجور عليه، وتخطي حدود العدل في التعامل معه، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ [سورة المائدة: ٨].

انه لا يجوز النيل من اي حق من حقوق احد من الناس المادية او المعنوية يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ [سورة الاعراف: ٨٥] وقد تكررت هذه الجملة في ثلاثة موارد من القرآن الكريم.

هذه مبادئ اساسية يقررها القرآن

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص١٥٢.
(٤) السيد محمد شكري الالوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن، ج٥، ص١١٧.

الكريم لتوطيد السلم العالمي، ولتحقيق التعايش بين بني البشر، لكن المؤسف تجاهل هذه المبادئ في اوساط ابناء الامة الاسلامية، بل سيادة توجهات على النقيض منها تحت عنوان الجهاد، او الولاء والبراء، او مواجهة اهل البدع.

وما احوج ساحة الامة الى خطاب ديني واع يبين هذه المفاهيم، ومصاديق تطبيقاتها التي يجب ان لا تتنافى مع تلك المبادئ الاساسية التي يقررها القرآن الكريم كقواعد حاكمة على سائر التشريعات والاحكام.